

الجماز البصري

الجماز البصري

أعلام الظرفاء



## الجماز البصري

هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء ابن ريان، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو ابن أخت سلم الخاسر؛ قال السمعاني في حقه: كان خبيث اللسان حسن النادرة، وكان أكبر من أبي نواس، وقيل في نسبه غير ذلك، والجماز لقبه، وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد الألف زاي وإنما قيل له الجماز لأنه كان يركب الجمازة وهي من آلات المحامل وكان صاحب نوادر، شاعر، روى عن أبي عبيدة معمر بن المثنى.

كان الجماز رجلاً من موالى قريش يكنى أبا عبد الله من ساكني البصرة، وكان شاعراً مقلماً مفوهاً مطبوعاً<sup>(1)</sup>.

مواقف من حياته:

مرقكم لا يغير الثياب:

كان الجماز ببغداد عند يحيى بن عبد الرحمن البختكاني، وممر الغلام بصحفة، فقطرت على ثوبه قطرة من المرق، فاغتم الجماز، فقال له: يا أبا عبد الله لا تغتم فلك عندنا قميص بل أقمصه. فقال: ما اغتمت أصلحك الله فإن مرقمك لا يغير الثياب - أي ليس فيه دسم - فضحك البختكاني حتى استلقى على قفاه.

هات علامة:

كان الجماز يوماً مع قثم بن جعفر الهاشمي، فوقف عليه رجل يستسقي، فقال له قثم: ادخل الدهليز، وأمر الغلمان أن يسقوه، فدخل غلام ثم خرج مسرعاً. فقال له قثم: أين الماء؟ قال الغلام: قالت لي أمك: هات

(1) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية - بيروت، 126/3، ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجوي، المكتبة العلمية - بيروت - لبنان، 346/1.

علامة. فضحك القوم وأخرج قثم.

فضحكت الجارية:

اجتمع الجماز مع قوم يشربون، وعندهم جارية تغني. فبينما هي في بعض أمرها إذ اضطرت ضرورة خفيفة لم يسمعها إلا الجماز، وكان قريب المجلس منها. فظنت الجارية أنه لم يسمعها، وأن أحداً غيره لم يسمعها إن كان هو لم يسمعها، فقالت له لما صار القدر إليه: أي صوت تحب أن أغني لك يا أبا عبد الله؟ فقال: غني: “يا ريح ما تصنعين بالدمن” فضحكت الجارية وقالت: اكنم علي.

ومما اخترناه من شعره قوله:

إن جعلتك يا محمد مفزعاً :: في حاجتي وتشوقي لقضائها  
من كان في هدم المكارم شغله :: فمحمد متشاغل بينائها

وفي الحسين بن الضحاك وأبي جعفر أخيه:

أبو علي وأبو جعفر :: أصغر من يُعرف بالعسكر  
كلاهما طفل بلا داية :: غل باللوز وبالسكر

وله في جفاء كان من جعفر بن القاسم قوله:

قد جفاني الأمير حين تقراً :: فتقرأت مكرهاً لرضائه  
ما طلاق لمكره بطلاق :: قد رواه الأمير عن فقهاءه  
والذي انطوى عليه المعاصي :: علم الله ذاك لي من سمائه

ما هم اليوم إلا عصابة:

جلس الجماز يأكل على مائدة بين يدي جعفر بن القاسم وجعفر يأكل على مائدة أخرى مع قوم فكانت الصحفة ترفع من بين يدي جعفر وتوضع بين يدي الجماز ومن معه فربما جاء قليل، وربما لم يجيء شيء، فقال الجماز: أصلح الله الأمير ما نحن اليوم إلا عصابة، ربما فضل لنا بعض المال وربما أخذ أهل السهام فلا يبقى لنا شيء.

دع عنك هذا:

وقال يموت: كان أبى والجماز يمشيان وأنا خلفهما بالعشي فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمر عليه فيصلى معه، فلما رأنا أقام الصلاة مبادراً، فقال له الجماز: دع عنك هذا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يتلقى الجلب.

حتى ولاك جزيرة القرود:

حدث عافية بن شبيب التميمي الحليس قال: كنا نكثر الحديث للمتوكل عن الجماز، وهو محمد بن عمرو بن حماد مولى بنى تيم وسلم الخاسر خاله فأحب ان يراه فكتب في حمله، فلما دخل عليه لم يقع الموقع الذي أردناه فتعصبنا كلنا له، فقال له المتوكل: تكلم، فإني أريد أن أستبرئك فقال الجماز: بحیضة أو حیضتين، فضحك الجماعة منه، فقال له الفتح: قد كلمت أمير المؤمنين فيك، حتى ولاك جزيرة القرود، فقال الجماز: أفلست في السمع والطاعة أصلحك الله فحصر الفتح وسكت، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم فأخذها وانحدر فمات فرحاً بها (1).

الجماز يدعو إلى التوبة فيرفض:

دخل الجماز على أبي نواس يعوده في مرضة لم يمتم منها، فقال: اتق الله فكم من محصنة قذفت وسيئة اقترفت وكبيرة ارتكبت، وأنت على هذه الحال فتب، فقال: صدقت يا أبا عبد الله ولا أفعل، قال: ولم؟ قال: مخافة أن تكون توبتي على يد مثلك يا عاض بظر أمه، فقال له: إن برأت والعياذ بالله كلت لك بالصاع الأوفر، فقال: يا أبا عبد الله والله، ما أشركت بالله طرفة عين قط.

قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه:

خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال شهر رمضان، فرأه رجلٌ واحد

(1) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية - بيروت، 126/3، ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد الجاوي، المكتبة العلمية - بيروت - لبنان، 346/1.

منهم، ولم يزل يومئٍ إليه حتى رآه معه غيره وعابنوه، فلما كان هلال  
الفطر جاز الجماز صاحب النوادر إلى ذلك الرجل، فدق عليه الباب فقال:  
قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه.

قال الجماز: أصبحت في يوم مطير، فقالت لي امرأتي: أي شيء  
يطيب في هذا اليوم فقلت لها: الطلاق، فسكتت عني.  
ما أعجب أسباب الرزق!:

ودخل يوماً بعض إخوانه وقد طبخ وغرف الطعام، فقال الداخل:  
سبحان الله ما أعجب أسباب الرزق! فقال الجماز؛ الحرمان والله أعجب  
منه، امرأته طالق إن ذقته.

وكان يلزم الجامع ثم انقطع عنه:

هـجـرت المسـجد :: الجامع والهجر له ريبه  
فـلا نـافلـةً تـأتي :: ولا تشهد مكتوبه  
وأخـبارك تـأتينـا :: على الأعلام منصوبه  
فإن زدت من الغيبة :: زدناك من الغيبة<sup>(1)</sup>  
وأدخل على المتوكل فأنشده:

ليس لي ذنب إلى الشيعة إلا خلتين :: حب عثمان بن عفان وحب العمرين  
وهاجى عبد الصمد بن المعدل. وللجاحظ فيه:

نسب الجماز مقصور إليه منتهاه :: يتحامي من أبي الجماز عنه كاتباه  
ليس يدري من أبو الجماز إلا من رآه  
فأجابه الجماز:

يا فتى نفسه إلى الكفر تائقه :: لك في الفضل والتزهد والنسك سابقه  
فدع الكفر جانباً يا دعي الزنادقة

والرزق عند الله لا ينفد:

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 71/7.

حدث العباس بن عبيد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع قال: كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية ينشد في الزهد فقال قثم: يا عباس أطلب الساعة الجماز حيث كان ولك عندي سبق فطلبته فوجدته عند ركن دار جعفر بن سليمان، فقلت: أجب الأمير فقام معي حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده فأنشأ الجماز يقول:

(ما أقبح التزهيد من واعظٍ :: يُزهد الناس ولا يزهدُ)  
(لو كان في تزهيده صادقاً :: أضحى وأمسى بيته المسجدُ)  
(يخاف أن تنفد أرزاقه :: والرزق عند الله لا ينفدُ)<sup>(1)</sup>

### تهاجي الجماز والمعذل :

حدث إبراهيم بن عقبة اليشكري قال: قال لي عبد الصمد بن المعذل: هجاني الجماز ببيتين سخيفين فسارا في أفواه الناس حتى لم يبق خاص ولا عام إلا رواهما وهما:

(ابنُ المعذل مَنْ هو :: ومَنْ أبوه المعذلُ)  
(سألتُ وهباًنَ عنه :: فقال بيضٌ مُحَوَّلُ)

فقلت: أنا فيه شعرا تركته يتحاجي فيه كل أحد فما رواه أحد ولا فكر فيه وذلك لضعته وهو قولي:

(نَسَبُ الجَمَّازِ مَقْصُورٌ :: إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ)  
(يَتَرَاءَى نَسَبُ النَّاسِ :: فَمَا يَخْفَى سِوَاهُ)  
(يَتَحَاجِي فِي أَبِي الجَمَّازِ :: مَنْ هُوَ كَاتِبَاهُ)  
(لَيْسَ يَدْرِي مَنْ أَبُو الجَمَّازِ :: إِلَّا مَنْ يَمْرَاهُ)<sup>(2)</sup>

### أمه تشهد الفجور والسرور:

كتب الجماز إلى صديق له يسأله شيئاً فأجابته إن كنت كاذباً، فجعلك الله صادقاً، وإن كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً، وكانت أمه نائحة فجمعه

(1) الأصفهاني، الأغاني، 13 / 261.

(2) الأصفهاني، الأغاني، 13 / 263.

المكتب بالبصرة وابن مغنية فتشاجرا يوماً وتشتاما، فزناه ابن المغنية، فضحك الجمار وقال للصبيان: أنصفوني يا قوم من هذا إن أمه تشهد الفجور والسرور وأمي تشهد الأتراح والأحزان فانظروا أيتهما أحق بالزنى.

وبلغ كلامه المؤدب فتعجب منه وقال: إن عاش هذا خرج باقعة في الظرف والنوادر فكان كذلك.

من الظرف رد الظرف:

وقال الجمار مرة: شممت من دار فلان رائحة طيبة أطيب من رائحة العروس الحسناء في أنف العاشق الشيق وأهدى إلى صديق له فاكهة على طبق وكتب إليه: من الظرف رد الظرف(1).

لو كُنْتَ ذَا عِرْضٍ هَجَوْنَاكَ:

ضاف رجلٌ قبيح الوجه دَنِيَّ الحَسْبِ أبا عبد الله الجَمَّار، فجعل يَفْخِر ببيته؟ فقال له الجمار: اسكت، ففَبَاحَةٌ وجهك، ودُنُوَّ حَسْبِكَ يمنعاننا مِن سَبِّكَ؛ فأبى إلا التَّمَادِي في اللُّجَاج، فقال له الجَمَّار:

لو كُنْتَ ذَا عِرْضٍ هَجَوْنَاكَ :: أو حَسَنَ الوَجْهِ عَاتَبْنَاكَ  
جَمَعْتَ مَرْفُوحَكَ لَوْماً فَلَل :: فُجِحَ أَو اللُّؤْمُ تَرَكَنَاكَ(2)

كَلَبَ فِي قَحْفِ خَنْزِيرٍ:

ومر طفيلي على الجمار، فقال له: ما تأكل؟ قال: كلب في قحف خنزير(3).

إن أنكر الأصوات لصوت الحمير!:

وقال الجمار لأبي العيناء: كيف ترى غنائى؟ فقال: كما قال الله تعالى:

(1) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، دار الغصون - بيروت / لبنان - 1405 هـ - 1985 م، 132/1.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 485/1.

(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 471/2.

{إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: ١٩].

حفظه لك أن ييقك فيه:

وسمع الجماز محبوساً يقول: اللهم احفظني. فقال: قل اللهم ضيعني فإن حفظه لك أن ييقك فيه.

ما أرى في وجهك منها شيئاً:

قال الجماز لأبي شراعة: كيف تجدك؟ قال: أجدني وقيذاً من دماميل قد ظهرت في أقبح المواضع. قال: ما أرى في وجهك منها شيئاً.

صلى رجلٌ صلاةً خفيفةً؛ فقال له الجماز: لو رآك العجاج لسر بك. قال: ولم؟ قال: لأن صلاتك رجز (1).

فقد نزلت ملائكة الليل:

ودخل مع صاحبٍ له إلى قثم بن جعفر؛ فتغديا عنده وتحدثا، وأراد قثم أن يقيّل، فدعا غلاماً رومياً وضيئاً فقال: قف هاهنا، فقال الجماز لصاحبه: قم بنا نخرج. قال: إلى أين؟ قال: إلى السماء، فقد نزلت ملائكة الليل.

أتدري لم جاؤوك؟

رأى رجلٌ من ولد عبيد الله بن زياد (وكان قد قتل الحسين بن علي) كأن النبي وعلياً وفاطمة - عليهم السلام - في داره، فصام وتصدق تبركاً برؤياه، وقصها والجماز حاضر؛ فقال: أتدري لم جاؤوك؟ قال: لا. قال: جاءوك ليشكروك على فعل أبيك بابنهم، فانخذل الرجل وود أنه لم يذكر من ذلك شيئاً.

لأنه يشتري الخبز:

وذكر يوماً رجلاً قام من عنده؛ فقال: كأن قيامه من عندنا سقوط جمرٍ من الشتاء. وقيل له: ما بقي من شهوتك للنساء؟ فقال: القيادة

(1) الآبي، نثر الدر، 3/ 171.

عليهن. قال الجماز: رأيت عجوزاً تسأل وتقول: من تصدق علينا بكسرةٍ أطعمه الله من طيبات باب الطاق. وقال: قلت لرجلٍ: قد زاد سعر الدقيق؛ فقال: أنا لا أبالي لأنني أشتري الخبز.

العنزروت:

قال: قلت لرجلٍ رمد العين: بأي شيءٍ تداوي عينيك؟ فقال: بالقرآن ودعاء الوالدة. قلت: اجعل معهما شيئاً يقال له: العنزروت (1).

نعم بترك العودة:

ودخل عليه ثقيلٌ يعود من مرضه؛ فلما نهض قال للجماز: تأمر بشيء. قال: نعم بترك العودة.

وقال لرجلٍ: ما أخرج عناقاً؟ فقال: أصابتنني خلفه؛ فقال الجماز: ما أبين الخلفة في وجهك.

أن يصح ما اشتهوا:

شهى جعفر بن سليمان أصحابه؛ فتنهى كل إنسان منهم جنساً من الطعام؛ فقال للجماز: فأنت ما تشتهي؟ قال: أن يصح ما اشتهوا.

كم غسلةٍ يصير القميص زراً:

ودفع إلى القصار قميصاً ليغسله، فضيقه، ورد عليه قميصاً صغيراً؛ فقال: ليس هذا قميصي، قال: بلى هو قميصك ولكنه توزى وفي كل غسلةٍ يتقلص ويقصر؛ فقال الجماز: فأحب أن تعرفني في كم غسلةٍ يصير القميص زراً؟.

وقيل له: لم تقصر شعرك؟ قال: أليس قليل ما أجيء به كثيراً في جنب ما يعطونني.

رغيفاً مقصوص الجناح:

(1) نثر الدر، 3/ 172.

وحضر دعوة بعض الناس فجعل رب البيت يدخل ويخرج ويقول: عندنا سكباجة تطير طيراناً، عندنا قلية تطير في السماء، فلما طال ذلك على الجماز وجاع قال: يا سيدي، أحب أن تخرج لي رغيفاً مقصوص الجناح إلى أن تقع ألوانك الطيارات.

قال الجماز: اجتزت ببابٍ وصاحب الدار يقاتل امرأته ويقول: لأحملن عليك اليوم مائة رجل، فجلس شيخ كان خلفي على الباب ينتظر؛ فلما طال دق الباب وقال: تريد أن تحمل على هذه القحبة أو انصرف. وما تستحسن منه؟:

رأى رجلاً الهلال فاستحسنه؛ فقال له الجماز: وما تستحسن منه؟ فو الله إن فيه لخصالاً لو كانت إحداهن في الحمار لرد بها؛ قال: وما هي؟ قال: إنه يدخل الروازن، ويمنع من الدبيب، ويدل على اللصوص، ويسخن من الماء، ويحرق الكتان، ويورث الزكام، ويحل الدين، ويزهم اللحم(1).

انظر في المرأة:

وقال رجل للجماز: أشتهي أن أرى الشيطان. فقال له: انظر في المرأة فإنك تراه.

على أنك لا تلفح أبداً:

وقال له رجل: يا أبا عبد الله؛ أنا رجل جامد العين، لو مات أبي ما بكيت، ولكن إذا سمعت الصوت الفريح من الوجه المليح، بكيت حتى أغمي علي. فعلام يدل هذا؟ قال: على أنك لا تلفح أبداً.

فخذها في ورقة:

وقال له رجل: أردت أن أحمل أُمي إلى بغداد، فخفت إن حملتها في البحر أن تعطب، وإن حملتها في البر أن تتعب. قال: فخذها في ورقة.

(1) الأبي، نثر الدر، 3/ 174.

دعوت أناساً ولم أدع نمل:

وكان الجماز لا يدخل بيته أكثر من ثلاثة لضيقة، فدعا ثلاثة من إخوانه فأتاه ستة، ووقف كل واحد على رجل وقرعوا الباب، فنظر من كوة أسفل الباب وكذلك كان يعمل فعد ستة أرجل، فلما فتح الباب دخلوا؛ فقال: اخرجوا عني فإنني دعوت أناساً ولم أدع نملاً.

فإذا قرأت كتابي، فأحرقوا القرطاس:

وقال الجماز: أراد أن يكتب أبو نواس إلى إخوان له دعاهم، فلم يجد قرطاساً يكتب فيه! فكتب في رأس غلام له أصلع ما أراد، ثم قال فيه: فإذا قرأت كتابي، فأحرقوا القرطاس. فضحكوا منه وتركوا للغلام جلدة رأسه(1).

\* \* \*

---

(1) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الظراف والمتماجنين، ص 84.